فما يرجع إلى اختيار اللفظ أن يكون غريبًا وحشيا أو من الأسماء المشتركة ، وأما ما يرجع إلى تأليف الألفاظ فيكون في فَرْط الإيجاز ، أو إغلاق النَّظْم كأبيات المعاني من شعر أبي الطيب وغيره . وأما ما يرجع للدلالة فأن يكون المعنى في نفسه دقيقًا ، أو أن يحتاج في فهمه إلى مقدِّمات بني المعنى عليها [١].

فإذا كان الغموض بهدف فني محدَّد فلا يرفضه الناقد ، كالكلام الذي وضع (لغزًا) وقصد ذلك فيه ، فهو فن تعبيري يُقْصَد به استخراج أفهام الناس وامتحان أذهانهم ، كما في قول بعضهم في الشمع :

تَحيّا إذا ما رُءوسُها قُطِعَتْ وَهُنَّ في اللَّيْلِ أَنْجُمٌ زُهرُ [٢]

والمسألة بعد هذا لها جانبان : أحدهما المبدع وقدرته الفنية في خَلْق صورة تركيبية لها خواصُّها في إفراز الدلالة على نحو معيَّن تحقق له هدفه الفني ، والآخر المتلقي وحاجته إلى إدراك المعنى واستيعابه . وهذان الجانبان يمكن تمثلهما في ذلك الحوار الذي دار بين أبي تمام وأبي العمَيْثل صاحب عبد الله بن طاهر وشاعره ، فقد أنشد أبو تمام لعبد الله بن طاهر قصيدته التي مطلعها :

أَ هُنَّ عَوادي يوسُفٍ وَصَواحِبُه فَعَزْمًا فَقِدْمًا أَدْرَكَ السُّؤلَ طالِبُهْ

فقال أبو العميثل لأبي تمام : لم لا تقول من الشعر ما يفهم ؟ فقال له : وأنت لم لا تفهم من الشعر ما يقال ؟

فأبو العميثل يطلب الوضوح وقرب المعنى من الفهم ، وأبو تمام يعطي

(١) ابن سنان : سر الفصاحة ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ . (٢) المرجع السابق ، ص ٢١٧ .